اخترت لك

تفاؤل وأمل

بقلم د. صلاح الدين النكدلي

يلقي واقع المسلمين في قلوب كثير من الناس « اليأس » من الإصلاح ؛ فالتجزئة والتناحر بين الأقطار يـشيعان الحسرة والألم ، والتخاصم والتشرذم بين قوى الأمة المسلمة في الأقطار كافة يولد « الإحباط » ويمكن الطغاة المحلـيين والبغاة الدوليين من رقاب العباد ، والهيمنة على البلاد ، والتحكم بالثروات .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن الحديث عن « التغيير » و « التحرير » و « النهوض » و « التقدم » ما يزال مترددآ في جنبات الأرض حاملاً بشارات التفاؤل والأمل .. وقد رصد الشاعر إبراهيم طوقان موجات اليأس ، وذكر ببواعث النهوض والنصر ، على الرغم من كل المعوقات والمثبطات ، ورسم لنا هذه الصورة المفعمة بالأمل الكبير .. شريطة أن تتحرك إرادة العمل باتجاه التغيير ، والتحرير ، واستشراف الغد الباسم

كَفكف دموعـك ، ليس ينـ ـفَعك البكـاءُ ولا العويـلُ
وانهَض ولا تشـك الزمـانَ ، فَما شـ ـكا إلاّ الكَسـ ـولُ
واسـلُك بهمتـك السـبيـ ـلَ ، ولا تقلْ كيف السـبيلُ
ما ضـل ذو أمـلٍ سـ ـعى يومـاً وحكمتـه الدليـ ـلُ
كـَ ـلاّ ، ولا خـاب امـرؤ يومـاً ومقصـ ـده نبيـ ـلُ
أفْنيـت يا مسـ ـكين عمـ ـ ـ ـرك بالتـأوه والحـزنْ
وقَعـدت مكتـوف اليـديـ ـن تقـولُ : حاربني الزمـن
ما لـم تقُـم بالعـبءِ أنـ ـ ت ، فَمـن يقـوم بـه إذَنْ ؟

❧ ❧ ❧

كم قُلْـت : « أمـراض البلا د » ؛ وأنـت من أمراضهـا

« والشـؤم علّتـها » فَهـلْ قَتنشـت عـن أعراضهـا
يا من حملْـت الفـأس تهـ ـدمهـا على أنقاضهـا
أُقْعـد فَمـا أنـت الذي يسـعى إلى إنهاضهـا
وانظُـر بعينيـك الذّئـا ب تعـب في أحواضهـا
وطَـن يبـاع ويشـترى وتصيح : « فليحي الوطن »!
لـو كُنـت تبغـي خيـره لبذَلـت من دمـك الثّمـن
ولَقُمـت تضمـد جرحـه لـو كنت من أهـل الفطـن

أضحـى التشـاؤم في حديـ ـثك بالغريـزة والسـليقَـه
مثْلَ الغـرابِ ، نعى الديـا ر وأسـمع الدنيـا نعيقَـه
تلـك الحقيقـةُ ، والمريـ ـض القَلبِ تجرحه الحقيقَـه
أمـلٌ يلُـوح بريقُـه فاسـتهد يا هـذا بريقَـه
ما ضاق عيشـك لو سـعيـ ـت له ، ولو لم تشـك ضيقَه
لكـن توهمـت السـقَا م ، فأسـقَم الوهـم البـدنْ
وظَننـت أنك قَـد وهنـ ـت قَدب في العظم الوهـن
والمـرءُ يرهبـه الردى ما دام ينظُـر للكَفَـن

أللّـه ثـم اللّـه مـا أحـ ـلى التضامـن والوفاقَـا!
بوركْـت مؤتمـراً تألّـ ـف لا نزاع ولا شـقَاقَـا[1]
كَـم مـن فُـؤاد راق فيـ ـه ، ولم يكُن من قَبـلُ راقَـا
اليـوم يشـرب موطنـي كأس الهنـاءِ لكُم دهاقَـا
لا تعبـؤوا بِمشـاغبيـ ـن ترونَ أوجههـم صفاقَـا
لا بـد مـن فئَـة - أجِلّـ ـكُم - تلْـذ لهَـا الفتـن
تلك النفـوس مـن الطّفُـو لـة أرضعـت ذاك اللّبـن
نشـأت على حب الخصـا م ، وبـات يرعاهـا الضغـن

لا تحفلُـوا بالمرجفيـ ـن ، فإنّ مطلبهـم حقيـ ـر
حـب الظّهـور على ظهـو ر الناس منشـؤه الغـ ـرور
مـا لـم يكُـن فَضـلٌ يزيـ ـنك فالظّهـور هو الفجـور
سـ ـ ـيروا بعيـن اللهِ ، أنـ ـتم ذلـك الأمـلُ الكبيـر
سـيروا فقَد صفَت الصدو ر ، تباركـت تلْك الصـدور
سـ ـيروا فسـنتكُم لخيـ ـر بِلادكـم خيـر السـنن
شـ ـ ـدوا المـودة والتـآ لـف والتفـاؤلَ في قَـ ـرنْ
لا خـوف إنْ قـام البنـ ـا ءُ على القَضيلَـ ـة وارتكَـن

حي الشـباب وقُـلْ سـ ـلا مـاً إنكُـم أمـلُ الغـ ـ ـد
صحـت عزائمكُـ ـم علـى دفْـع الأثيـ ـم المعتـ ـدي
واللّـ ـه مـد لكُـم يـ ـداً تعلُـو على أقـوى يـ ـد
وطنـي أزف لك الشـ ـبا ب كأنـه الزهـر النـ ـدي
لا بـ ـد من ثَمـ ـر لَـ ـه يومـ ـاً وإنْ لَـم يعقـ ـد
ريحانـه العلْـ ـم الصحيـ ـ ـح ، وروحه الخلق الحسـن
وطنـي ، وإنّ القَلْـ ـب يـا وطنـي بحبـك مرتهـ ـن
لا يطْمئـن ؛ فـإنْ ظفَـ ـر ت بمـا يريـد لَـك اطْمـأنّ

الهوامش :

١- يشير إلى مؤتمر عقد في القدس من أجل قضية فلسطين .